التسلسل العام للدروس (١٨)

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على أشرف الأنبياء والمرسلين، أما بعد:

📖 قال المؤلف – رحمه الله: «بَابٌ مِنَ الْإِيمَانِ بِاللَّهِ الصَّبْرُ عَلَى أَقْدَارِ اللَّهِ».

قوله: بَابٌ مِنَ الْإِيمَانِ »، **"من"** تبعيضية، أي: بعض الإيمان بالله، ومعلوم أن الإيمان بالله عز وجل يتضمن أركان ستة، وهي: الإيمان بالله، وملائكته، وكتبه، ورسله، ومن هذه الأشياء الإيمان بالقدر خيره وشره، فمن الإيمان بالله عز وجل الصبر على أقدار الله، وخص المصنف – رحمه الله – الصبر على أقدار الله؛ لأنه يريد أن يتحدث عن توحيد الربوبية، فالكتاب **"كتاب التوحيد"** تكلم كثيرًا عن توحيد الألوهية، وسيتحدث فيما بعد عن توحيد الأسماء والصفات، وفي هذا الباب يتحدث عن توحيد الربوبية.

لذلك قال: «**بَابٌ مِنَ الْإِيمَانِ بِاللَّهِ**»، أي: بعض الإيمان بالله «**الصَّبْرُ عَلَى أَقْدَارِ اللَّهِ**»: وأقدار الله عز وجل خصها المصنف – رحمه الله – لأنها هي التي تحدث بقدر الله عز وجل، فإن صبر الإنسان على ذلك أُجر وأثيب، وإن لم يصبر فإنه لا أجر له ولا ثواب.

قوله: « الصَّبْرُ عَلَى أَقْدَارِ اللَّهِ»: الصبر لغة: الحبس.

وفي الاصطلاح: حبس اللسان عن التشكي، والقلب عن التسخط، والجوارح عن اللطم والشق.

والصبر على نوعين:

النوع الأول: صبر على ما يوافق الهوى وهو ما يحبه الإنسان من مال، وزوجة، ومسكن، ودابة، وغير ذلك.

والصبر عليها أي: أن يوظفها الإنسان في طاعة الله عز وجل، فلا يأخذ المال إلا بحقه، ولا يصرفه إلا بحقه، وكذلك الزوجة، والمسكن وغير ذلك ألا يستعمل هذه الأشياء إلا في طاعة الله؛ فهذا من الصبر على هذه الأمور.

النوع الثاني: صبر على ما يخالف الهوى، وهو على ثلاثة أنواع:

أولًا: صبر على طاعة الله: كالصلاة، والصيام وغير ذلك.

ثانيًا: صبر عن معصية الله: كالغيبة، والنميمة وغير ذلك.

ثالثًا: صبر على أقدار الله: كالموت، والمرض، والفقر، والحوادث وغير ذلك.

والصبر هو: أن يحبس الإنسان نفسه عن التشكي إلا لله عز وجل في هذه الأمور، والصبر مذكور في القرآن أكثر من تسعين مرة؛ وهذا يدل على فضل الصبر، وأهمية الصبر، لذلك قال تعالى: **{إِنَّمَا يُوَفَّى الصَّابِرُونَ أَجْرَهُمْ بِغَيْرِ حِسَابٍ}**[الزمر: ١٠]، وقال تعالى: **{يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اصْبِرُوا وَصَابِرُوا}**[آل عمران: ٢٠٠].

وقال النبي ﷺ: «**عجبًا لأمر المؤمن.** .» وذكر الصبر والشكر.

والصبر بلا شك أنه من أفضل الأعمال، بل ذكر بعض أهل العلم أن الصبر هو نصف الدين، يقول: أن الدين قائم على الصبر والشكر؛ كما في حديث: «**عجبًا لأمر المؤمن إن أمره كله له خير، إن أصابته السراء فشكر كان خيرًا له، وإن أصابته ضراء فصبر كان خيرًا له**»؛ فقسَّم الدين إلى شكر وصبر، ومعلوم أن الصبر من أعظم الأعمال وأفضلها، بل كل عمل في هذا الدين لا يقوم إلى على الصبر وإن سمي بغير اسمه، فمثلًا الجهاد في سبيل الله تعريفه هو: الصبر على القتال.

الصوم تعريفه: الصبر عن الطعام.

الصلاة تعريفها: الصبر على الركوع والسجود.

حفظ القرآن، قراءة القرآن والتسبيح والتهليل وغير ذلك؛ كل ذلك صبر على هذه الأفعال، فهي قائمة على الصبر حتى الأمور الأخرى، فإنا نقول: إنها أيضًا قائمة على الصبر.

فمثلًا العفة، العفة هي: صبر عن الوقوع في الفواحش: كالزنا وغيره، فهي تسمى عفة ولكنها في الأصل أنها صبر عن الفواحش وغير ذلك من الأمور.

وهذا كله يدل على أن الصبر أمره في الإسلام عظيم، لذلك إذا أعطي الإنسان الصبر ورزقه الله عز وجل الصبر فهو في نعمة عظيمة، لذلك ورد في الحديث أن النبي ﷺ قال: «**ما أعطي شيئًا أحب من الصبر**»، فالصبر بلا شك أنه من أعظم الأعمال، فلذلك لا بد للإنسان أن يتعلم هذا الأمر وهو الصبر، وأن يصابر.

لذلك قال تعالى: **{يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اصْبِرُوا وَصَابِرُوا وَرَابِطُوا}**، فأمر بالصبر والمصابرة، حتى إذا لم يستطع الإنسان الصبر؛ فعليه أن يدرب نفسه على الصبر؛ لأن كل عمل في الإسلام قائم على الصبر.

والناس تجاه المصائب على أربع طوائف:

الطائفة الأولى: إذا أصيبت بمصيبة من حادثة أو كارثة مرض، احتراق أو غير ذلك، تتسخط وتجزع، وتعترض على قدر الله؛ فهذا حكمه نقول: أنه محرم، وهو التسخط.

الطائفة الثانية: التي تصبر على هذه المصيبة، فالصبر هو حبس النفس، فلا يشتكي ولا يجزع، بل يحبس نفسه عن هذا الأمر؛ وهذا يسمى بالصبر، وحكمه واجب؛ لأن الله عز وجل أمر بالصبر بقوله: **{يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اصْبِرُوا}**[آل عمران: ٢٠٠]، فأمر بالصبر.

الطائفة الثالثة: التي ترضى بوجود المصيبة، ومعنى الرضا هو أن يستوي عنده الأمران: المصيبة وعدم المصيبة.

وحكم الرضا: نقول: أنه مستحب.

الطائفة الرابعة: التي تشكر، أي: أن يشكر الله على هذه المصيبة؛ لأنه يعلم أن الله ما ابتلاه بهذا الأمر إلا لأنه يحبه، فهو يشكر الله عز وجل على هذه المصيبة، نقول: أن هذه المنزلة منزلة الشكر تعد من الأمور المستحبة.

وعلى ذلك نقول: أن التسخط حكمه محرم، والصبر حكمه واجب، والرضا والشكر مستحبان، لكن أيهما أفضل: الرضا أم الشكر؟

الجواب: الشكر أفضل من الرضا.

📖 **قال المؤلف – رحمه الله:** وَقَوْلُ اللَّهِ تَعَالَى: **{وَمَنْ يُؤْمِنْ بِاللَّهِ يَهْدِ قَلْبَهُ}**[التغابن: ١١].

قَالَ عَلْقَمَةُ: "هُوَ الرَّجُلُ تُصِيبُهُ الْمُصِيبَةُ، فَيَعْلَمُ أَنَّهَا مِنْ عِنْدِ اللَّهِ، فَيَرْضَى وَيُسَلِّمُ".

قال تعالى: **{مَا أَصَابَ مِنْ مُصِيبَةٍ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ وَمَنْ يُؤْمِنْ بِاللَّهِ يَهْدِ قَلْبَهُ}**.

فسرها علقمة – رضي الله عنه – بقوله: «**هُوَ الرَّجُلُ تُصِيبُهُ الْمُصِيبَةُ**»، من موت أو حادث، أو كارثة، أو فقر أو غير ذلك «**فَيَعْلَمُ أَنَّهَا مِنْ عِنْدِ اللَّهِ**»، أي: يعلم أن ذلك بتقدير الله، أن الله عز وجل قدر له هذا الأمر « **فَيَرْضَى وَيُسَلِّمُ**»: أي فيؤجر على هذه المصيبة.

📖 **قال المؤلف – رحمه الله: وَفِي صَحِيحِ مُسْلِمٍ عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ: «اثْنَتَانِ فِي النَّاسِ هُمَا بِهِمْ كُفْرٌ الطَّعْنُ فِي النَّسَبِ، وَالنِّيَاحَةُ عَلَى الْمَيِّتِ».**

قوله: « **اثْنَتَانِ فِي النَّاسِ هُمَا بِهِمْ كُفْرٌ**»، ولكن المراد هنا كفر أكبر أم أصغر؟

الجواب: الأصل أن هذا التعبير إذا جاء – كفر أو شرك – فإن الأصل فيه أنه يكون من الأصغر؛ لأنه غير معرف، بخلاف الكفر أو الشرك.

قوله: «**الطَّعْنُ فِي النَّسَبِ**»: الطعن، أي: بمعنى العيب، والعيب هو القدح في أنساب الناس، وهو من الأمور المحرمة بل هو من أخلاق الجاهلية.

قوله: «**الطَّعْنُ فِي النَّسَبِ**»، أي: عيب أنساب الناس، وتفريق الناس، والكلام فيما يؤثر على نفوس الناس في أنسابهم، فإنا نقول: أن هذا يعد من الطعن في النسب.

قوله: «**وَالنِّيَاحَةُ عَلَى الْمَيِّتِ**»: النياحة، أي: بمعنى البكاء الشديد على الميت.

حكم البكاء على الميت: البكاء على الميت يخلو من أحوال:

الحال الأولى: البكاء الذي يكون مقرونًا بالتسخط أو العويل، أو الصياح، فهذا النوع يعد من الأمور المحرمة، فإن كان البكاء على وجه التسخط أو الاعتراض، أو صاحبه شيء من الأمور المحرمة: كاللطم أو الشق أو غير ذلك؛ فإن هذا يعد من الأمور المحرمة.

الحال الثانية: البكاء اليسير، أو الخفيف الذي لا يصاحبه عويل أو اعتراض على قدر الله، كدمع العين، أو البكاء الذي لا يكون اعتراضًا على قدر الله، ويكون من غير اختيار للإنسان، فإنا نقول: أن هذا يعد من الأمور الجائزة.

حكم الشكوى عند وجود المصيبة: الشكوى عند وجود المصيبة على أنواع:

النوع الأول: أن يشتكي إلى الخالق **{إِنَّمَا أَشْكُوا بَثِّي وَحُزْنِي إِلَى اللَّهِ}** [يوسف: ٨٦]، فهذا أمر مشروع، فإذا أصيب الإنسان بمصيبة فإنه يلجأ إلى الله.

النوع الثاني: المحرم، وهو الشكاية للمخلوق على سبيل التسخط، والاعتراض على قدر الله، فإنا نقول: أن هذا يعد من جملة التسخط على قدر الله.

النوع الثالث: الشكوى، ولكنها من باب الإخبار، كمن وقع له حادث، أصيب أو غير ذلك فأخبر الناس عن كيفية هذا الحادث، لا يريد بذلك التشكي لهم، وإنما يريد مجرد الخبر أنه وقع لي حادث على صفة كذا وكذا، فإنا نقول: أن هذا يعد من الأمور المباحة، أما إذا اقترن معه شيء من التسخط أو الاعتراض فإنا نقول: أنه يعد من جملة الأمور المحرمة.

حكم الأنين عند وجود المرض: اختلف العلماء في الأنين: هل يدخل في الشكوى لغير الله عز وجل أو لا؟

القول الأول: فذهب بعض العلماء إلى أن الأنين من الشكوى لغير الله عز وجل، وقالوا: أنه يقدح في الصبر، ومعلوم أن الصبر من الأمور الواجبة.

القول الثاني: قال بعض العلماء: بل يكره، ولا يصل إلى درجة التحريم.

القول الثالث: فرق بعضهم بين الأنين الذي يكون باختيار الإنسان وبين الأنين الذي لا يكون باختياره: فإن كان باختياره فإنه يكون من باب الشكوى وهو مناف للصبر.

وإن كان بغير اختياره وإنما يظهره الإنسان من شدة الألم ويتمنى أن يخفيه ولكنه لا يقدر فإنا نقول: أنه لا يعد من الأمور المحرمة كما قلنا لكم في مسألة البكاء.

📖 **قال المؤلف – رحمه الله: وَلَهُمَا عَنِ ابْنِ مَسْعُودٍ مَرْفُوعًا: «لَيْسَ مِنَّا مَنْ ضَرَبَ الْخُدُودَ، وَشَقَّ الْجُيُوبَ وَدَعَا بِدَعْوَى الْجَاهِلِيَّةِ».**

قوله: «**لَيْسَ مِنَّا**»: دليل على أن هذا الفعل يعد من جملة الكبائر.

وهذا التعبير «**لَيْسَ مِنَّا**»، أو نفي الإيمان فإنا نقول: أنه يدل على أن هذا الفعل كبيرة من كبائر الذنوب، سواء كان ذلك بترك واجب من الواجبات أو بفعل محرم.

قوله: «**وَدَعَا بِدَعْوَى الْجَاهِلِيَّةِ**»: المراد بدعوى الجاهلية: نقول: دعوى الجاهلية هنا مفرد مضاف، أي دعوى للجاهلية، وإن كان هنا التعبير يريد بذلك دعوى الجاهلية الذي هو من باب النياحة، فإن كانت النياحة هنا على سبيل أفعال الجاهلية، فإنها تعد من الأمور المحرمة وهي كبيرة من كبائر الذنوب.

📖 **قال المؤلف – رحمه الله: وَعَنْ أَنَسٍ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ: « إِذَا أَرَادَ اللَّهُ بِعَبْدِهِ الْخَيْرَ، عَجَّلَ لَهُ بِالْعُقُوبَةِ فِي الدُّنْيَا، وَإِذَا أَرَادَ بِعَبْدِهِ الشَّرَّ أَمْسَكَ عَنْهُ بِذَنْبِهِ حَتَّى يُوَافِيَ بِهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ ».**

قوله: « **إِذَا أَرَادَ اللَّهُ بِعَبْدِهِ الْخَيْرَ، عَجَّلَ لَهُ بِالْعُقُوبَةِ فِي الدُّنْيَا**»: وذلك بوجود الحوادث، أو الأمراض، أو الفقر أو غير ذلك، كما ورد في الحديث: «**أشد الناس بلاء الأنبياء ثم الصالحون ثم الأمثل فالأمثل، يبتلى الرجل على قدر دينه**»؛ فالله عز وجل إذا ابتلى العبد فهذا دليل على أنه يحبه.

قوله: « **وَإِذَا أَرَادَ بِعَبْدِهِ الشَّرَّ أَمْسَكَ عَنْهُ بِذَنْبِهِ**»: أي: تركه يفعل ما يريد، وهذا يسمى استدراج، أي: من الاستدراج للعبد، وذلك إذا أمن من مكر الله عز وجل.

قوله: «**أَمْسَكَ عَنْهُ بِذَنْبِهِ**»: بمعنى: أنه لا يعاقبه على ذنبه.

قوله: «**حَتَّى يُوَافِيَ بِهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ**»: أي: بمعنى أنه يأتي به أي بذنوبه وافية كاملة لم يعاقب عليها في الدنيا، فإنه أكمل في عذابه وأتم في عذابه، قال: «**حَتَّى يُوَافِيَ بِهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ**».

📖 **قال المؤلف – رحمه الله: وَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: « إِنَّ عِظَمَ الْجَزَاءِ مَعَ عِظَمِ الْبَلَاءِ، وَإِنَّ اللَّهَ تَعَالَى إِذَا أَحَبَّ قَوْمًا ابْتَلَاهُمْ، فَمَنْ رَضِيَ فَلَهُ الرِّضَا، وَمَنْ سَخِطَ فَلَهُ السُّخْطُ»، حَسَّنَهُ التِّرْمِذِيُّ.**

قوله: «**وَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: إِنَّ عِظَمَ الْجَزَاءِ**» أو «**عُظْم الجزاء**»: يصح أن تقرأ هكذا «**عِظَم الجزاء**» أو «**عُظْم الجزاء مَعَ عِظَمِ الْبَلَاءِ**»، أي: بمعنى أنهما يتقابلان، كلما كان البلاء عظيمًا كان الجزاء عظيمًا، كلما كان البلاء خفيفًا كان الجزاء خفيفًا، لذلك قال تعالى: **{إِنَّمَا يُوَفَّى الصَّابِرُونَ أَجْرَهُمْ بِغَيْرِ حِسَابٍ}** [الزمر: ١٠].

قوله: «**وَإِنَّ اللَّهَ تَعَالَى إِذَا أَحَبَّ قَوْمًا ابْتَلَاهُمْ**»: ابتلاهم بأنواع البلايا من الفقر، والمرض، والهم، والغم، الموت وغير ذلك من الأمور.

قوله: «**فَمَنْ رَضِيَ فَلَهُ الرِّضَى**»: أي: فمن رضي بقدر الله فإنه يؤجر على هذا الرضا الذي ترتب على القدر، أو الإيمان بالقدر.

قوله: «**وَمَنْ سَخِطَ فَلَهُ السُّخْطُ**»: أي: عليه السخط، أي: عليه جزاء هذا السخط.

وفسرها بعضهم: بأنه عليه اللعنة التي هي مترتبة على هذا السخط. والحديث حديث حَسَّنَهُ التِّرْمِذِيُّ.

📖 **قال المؤلف – رحمه الله: «بَابٌ مَا جَاءَ فِي الرِّيَاءِ».**

أراد المصنف – رحمه الله – في هذا الباب التحذير والنهي الأكيد الشديد على هذه المسألة – مسألة الرياء –، والرياء نقول: أنه من قبيل الشرك الأصغر، وقد يكون شركًا أكبر، وذلك إذا كان الرياء في أصول الدين، أي: بنطق لا إله إلا الله، أو أن يرائي بأركان الإسلام، فإنا نقول: أن هذا لا يكون إلا من عمل المنافقين.

والرياء هو: أن يكون ظاهر الإنسان أعمر من باطنه.

وضد الرياء الإخلاص، والإخلاص: أن يكون باطن الإنسان أعمر من ظاهره.

والرياء والإخلاص هما ضدان، لا يجتمعان في عبادة، وإذا اجتمعا في عبادة فإن أحدهما يبطل الآخر، فالرياء يبطل الإخلاص، أو أنه ينقص الإخلاص إذا كان عارضًا، لذلك لا يجتمع في العمل رياء وإخلاص إلا أنه إما أن يبطله أي: الرياء يبطل الإخلاص، أو أنه ينقصه نقصًا شديدًا كما سيأتي.

والرياء بلا شك أنه من الأعمال الممقوتة، بل هو من أكبر علامات النفاق أن الإنسان يعمل بالرياء ومثل الرياء السمعة، إلا أنه يفرق بينهما أن الرياء هو أن يعمل الإنسان عملًا يرائي به الناس لأجل الرؤية.

والسمعة: أن يعمل الإنسان عملًا يسمع به الناس: كالقراءة وغير ذلك.

وهما أي: السمعة والرياء بابهما واحد، أي: أن يعمل الإنسان لأجل الناس.

الرياء يقوم على ثلاثة أصول:

الأصل الأول: أن يطلب الإنسان المحمدة في قلوب الناس، فالرجل الذي يحب الثناء دليل على أنه من المرائين.

الأصل الثاني: الفرار من ألم الذم، فيعمل أعمالًا يقصد بذلك ألا يوصف بما يذم.

الأصل الثالث: الطلب، طلب القيام في منزلة قلوب العباد، أن يطلب أن يكون من المعظمين في قلوب الناس فيحب أو يسعى؛ فنقول: من وجد في قلبه هذه الأشياء الثلاثة فهو دليل على أنه عنده شيء من الرياء.

والرياء كما قال الإمام ابن القيم – رحمه الله –: (**هو البحر الذي لا ساحل له**)، لكثرة أنواعه، وتقلباته.

لذلك ورد عن بعض السلف أنه يقول: (**أعز شيء علي الإخلاص**)، لماذا؟

الجواب: لأنه عزيز صعب على الإنسان، فالنية تتفلت على الإنسان، قد يكون الإنسان عمله في بدايته لله، ولكنه يعرض عليه، أو يدخل عليه الرياء، فلذلك لا بد للإنسان أن يحاسب نفسه على هذه المسائل ويراجع نيته دائمًا هل هذا العمل لله أو لغير الله عز وجل؟

لذلك جعل الله عز وجل للإخلاص فضائل كثيرة وعظيمة، لذلك ورد في الحديث أن النبي ﷺ قال: «**من قال: لا إله إلا الله خالصًا من قلبه دخل الجنة**».

وذكر النبي ﷺ عن السبعة الذين يظلهم الله في ظله: «**رجل تصدق بصدقة فأخفاها حتى لا تعلم شماله ما تنفق يمينه**»، وكذلك ذكر «**رجل ذكر الله خاليًا ففاضت عيناه**»، وهذه أدلة دليل على فضل الإخلاص، وإن كان هذا العمل الصدقة والبكاء لو كان يسيرًا فإن فضل الله عز وجل عظيم على المخلص.

لذلك لو أن إنسانًا تصدق بصدقة كبيرة وشخص تصدق بصدقة قليلة ولكن الأول فيه شيء من الظهور والبيان للناس فأظهر هذه الصدقة، ورجل أخفاها، فأيهما أعظم وأيهما أكمل؟

الجواب: بلا شك أن من أخفى ذلك العمل ولو كان ذلك يسيرًا كان عند الله عز وجل أفضل.

لذلك من عمل هذا العمل وهو أنه تصدق بصدقة فأخفاها حتى لا تعلم شماله ما تنفق يمينه كان من السبعة الذين يظلهم الله في ظله يوم لا ظل إلا ظله؛ لذلك لا بد للمؤمن أن يعمل بهذا الحديث ولو مرة واحدة، لعل الله عز وجل أن يرحمه ويدخل في هذا الحديث في حديث السبعة الذين يظلهم الله في ظله يوم لا ظل إلا ظله.

حكم العمل الذي فيه رياء: الأعمال التي خالطها الرياء على أنواع:

النوع الأول: أن يكون هذا العمل لغير الله من أصله، فإن كان ذلك في أصول الإسلام كمن قال: لا إله إلا الله رياء فإن هذا العمل يكون من عمل أهل النفاق، ويعد هذا الشخص من المنافقين.

ومثل ذلك أيضًا: من لا يصلي إلا رياء، ولا يصوم إلا رياء، ولا يتصدق إلا رياء، ولا يحج إلا رياء، فإنا نقول: أن الرياء في أصل الإسلام أو في أركان الإسلام يعد من أعمال المنافقين الذين هم في الدرك الأسفل من النار.

أما إن كان عملًا خاصًا: كنافلة، أو صيام يوم، أو قيام ليلة، أو صدقة معينة أو غير ذلك؛ فإن هذا فيه تفصيل: إن كان العمل من أصله لغير الله، شخص تصدق بصدقة لأجل رؤية الناس، فهذا نقول: أن العمل بلا شك باطل، كما ورد في الحديث: «**من عمل عملًا أشرك معي فيه غيري تركته وشركه**»، ويخشى على صاحبه أنه يكون من المنافقين إذا استمر، ولكن نقول: أن العمل بلا شك باطل، ويعاقب على هذا الفعل، ولكن يخشى أن يستمر به هذا العمل فيكون من المنافقين.

النوع الثاني: أن يكون أصل العمل لله عز وجل، ولكن خالطه شيء من النية الباطلة، فلما صلى أو تصدق نظر إلى الناس فجاء في قلبه شيء من الرياء أو طلب المنزلة في قلوب العباد كمن يقرأ أو يصلي بالناس فهو يطلب من الناس في عمله أن يعظمه الناس أو يمدحوه أو غير ذلك فصرف شيء من العمل فأطال الصلاة أو بكى في قراءة القرآن أو غير ذلك، فإن استمر على هذا فإن هذا العمل يكون باطلًا.

الأصل: أن العمل لأجل الله، ولكن اعترض عليه رياء ودخله رياء، فإن استمر و لم يرجع فإنا نقول: أن العمل يكون باطلًا ويعاقب على هذه النية السيئة.

أما إذا تاب ورجع فإن العمل ينقص من أجره بقدر ما يكون فيه من رياء أو سمعة، لذلك كلما كان العمل خالصًا كان أكمل في الأجر، فإذا دخل الرياء أو اعترض نقص الأجر.

النوع الثالث: أن يستوي الأمران: الإخلاص والرياء، شخص أراد أن يتصدق وقصده لله، وأيضًا مراءاة الناس، فإن هذا العمل بلا شك أنه مردود، لأنه يدخل في الحديث: «**من عمل عملًا أشرك معي فيه غيري**»، فإن هذا العمل بلا شك يكون مردودًا، ويعاقب صاحبه على هذا النية السيئة، لأنه نظر إلى الخلق.

أنواع الرياء:

النوع الأول: الرياء الجلي: الذي يكون ظاهرًا في أعماله: كتحسين الصلاة أو البكاء في القراءة، أو الصدقة.

النوع الثاني: الرياء الخفي: الذي لا يعلم به الناس، وإنما يعلم به رب الناس، وهو أن يقوم في قلب الإنسان شيء من تعظيم المخلوق، أو أن يلتفت قلبه إلى الناس، أو أن يطلب المحمدة من الناس، فإنا نقول: أن هذا يعد من الرياء الخفي الذي لا يطلع عليه إلا الله سبحانه وتعالى.

لو أن إنسانًا عمل بطاعته ثم بعد ذلك تحدث الناس عن طاعته: كحفظ القرآن، أو الصيام، أو الصلاة أو غير ذلك فأثنى الناس عليه خيرًا، هل هذا يعد من الرياء أو أنه من الإخلاص؟

الجواب: إن كان هو الذي يسعى لإظهار ذلك فإن هذا يعد من الرياء.

أما إن لم يسع لطلب ذلك و لم يترقب ذلك وإنما ظهر للناس، كمن حفظ القرآن فصلى في الناس حفظًا فعلم الناس أنه حافظ لكتاب الله عز وجل و لم يسعَ و لم يحدث الناس، وإنما ظهر للناس، فإنا نقول: أن هذا من البشرى للمؤمن كما ورد في الحديث أن النبي ﷺ قال: «**تلك بشرى عاجل المؤمن**»، فهذا من البشرى للمؤمن؛ أن عمله بإذن الله مقبول، ولكن لا يسعى الإنسان لبث ذلك أو إظهاره وإنما إذا ظهر للناس أنه حافظ أو أنه ذا علم أو ظهر أو تبين للناس فبدءوا يمدحونه و لم يطلب منهم ذلك فإنا نقول: أن هذا لا يعد من الرياء.

📖 قال المؤلف – رحمه الله: وَقَوْلُ اللَّهِ تَعَالَى: {قُلْ إِنَّمَا أَنَا بَشَرٌ مِثْلُكُمْ يُوحَى إِلَيَّ أَنَّمَا إِلَهُكُمْ إِلَهٌ وَاحِدٌ}[الكهف: ١١٠]، **الآية.**

أين الشاهد من هذه الآية على باب الرياء؟

الجواب: تكملة الآية، **{فَمَنْ كَانَ يَرْجُوا لِقَاءَ رَبِّهِ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَالِحًا وَلا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِ أَحَدًا}** [الكهف: ١١٠].

قوله: {وَلا يُشْرِكْ}: يشمل بذلك الشرك الأكبر والشرك الأصغر، والشرك الأصغر المراد به أنواع الشرك الأصغر، ومنها: الرياء.

📖 قال المؤلف – رحمه الله: وَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ مَرْفُوعًا: «قَالَ تَعَالَى أَنَا أَغْنَى الشُّرَكَاءِ عَنِ الشِّرْكِ، مَنْ عَمِلَ عَمَلًا أَشْرَكَ مَعِي فِيهِ غَيْرِي تَرَكْتُهُ وَشِرْكَهُ» رَوَاهُ مُسْلِمٌ.

قوله: «وَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ مَرْفُوعًا: قَالَ الله عز وجل»: وهذا يسمى بالحديث القدسي.

قوله: «أَنَا أَغْنَى الشُّرَكَاءِ عَنِ الشِّرْكِ، مَنْ عَمِلَ عَمَلًا أَشْرَكَ مَعِي فِيهِ غَيْرِي تَرَكْتُهُ وَشِرْكَهُ»: وهذا دليل على أن العمل إذا كان خالصًا فهو مقبول، أما إذا وقع فيه شيء من الشرك و لم يتب الإنسان من ذلك الأمر فإن العمل يكون بذلك مردود، سواء كان هذا العمل من أصله لغير الله أو أن الأمران استويا العمل لله ولغير الله أو أن العمل أصله لله ولكن طرأ عليه الرياء و لم يتب منه فإن عمله يكون بذلك مردود فيعاقب عليه.

📖 **قال المؤلف – رحمه الله: وَعَنْ أَبِي سَعِيدٍ مَرْفُوعًا: «أَلَا أُخْبِرُكُمْ مَا هُوَ أَخْوَفُ عَلَيْكُمْ عِنْدِي مِنَ الْمَسِيحِ الدَّجَّالِ؟ » قلنا: بَلَى. قَالَ: «الشِّرْكُ الْخَفِيُّ، يَقُومُ الرَّجُلُ فَيُصَلِّي فَيُزَيِّنُ صَلَاتَه، لِمَا يَرَى مِنْ نَظَرِ رَجُلٍ إِلَيْهِ» رَوَاهُ أَحْمَدُ.**

النبي ﷺ هنا يخاطب الصحابة، وهذا دليل على أن الشرك الخفي الذي هو الرياء أشد ما يكون على الصالحين من العلماء، والدعاة، والآمرين بالمعروف، والناهين عن المنكر، والمجاهدين في سبيل الله، وطلاب العلم أخوف ما يكون عليهم الرياء أو الشرك الأصغر.

لذلك قال النبي ﷺ: «**أَلَا أُخْبِرُكُمْ مَا هُوَ أَخْوَفُ عَلَيْكُمْ عِنْدِي**»، « **أَخْوَفُ عَلَيْكُمْ** » أي: أنتم، ومعلوم أن جيل الصحابة بلا شك أنه هو أفضل القرون وأتقى القرون، قال: «**مِنَ الْمَسِيحِ الدَّجَّالِ؟ قَالُوا: بَلَى. قَالَ: «الشِّرْكُ الْخَفِيُّ**».

ثم فسر النبي ﷺ الشرك الخفي بمثال فقال: «**يَقُومُ الرَّجُلُ فَيُصَلِّي فَيُزَيِّنُ صَلَاتَه، لِمَا يَرَى مِنْ نَظَرِ رَجُلٍ إِلَيْهِ**» رَوَاهُ أَحْمَدُ: وهو حديث حسن.

هذا شرك ولكنه شرك ظاهر أو خفي؟

الجواب: خفي، لماذا؟

الجواب: لأن قلب هذا الرجل التفت إلى غير الله عز وجل، فلا يعلم به أحد، وقد يكون ظاهرًا إذا أظهر الإنسان هذا الأمر وبيَّنه، ولكن غالبًا التفات القلب إلى الناس إنما هو من الشرك الخفي، لذلك النبي ﷺ فسره بالشرك الخفي، وهو أيضًا ما يسمى بيسير الرياء.

والله أعلم، وصلى الله وسلم وبارك على نبينا محمد.